٢ - صالون الأميرة نازلي فاضل [١]

من المهم لكل من يؤرخ للحياة الفكرية فى مصر الحديثة ويتطرق لينابيع حركة التنوير ، وما نتج عنها من تأثير ألا يتجاهل الصالونات الأدبية أو تلك الأندية الارستقراطية التى كانت تجذب إليها صفوة قادة الرأى والفكر فى مصر من كتاب وخطباء وشعراء ومفكرين وسياسيين وصحفيين وغيرهم وتدفعهم إلى التسابق فى مضمار الرقى الفكرى والتمدن والتى كان من أبرزها صالون الأميرة نازلى فاضل ، وصالون

---

(١) ابنة الأمير مصطفى فاضل نجل ابراهيم باشا ابن محمد على ، وشقيق الخديو اسماعيل والذى كان يعتبر نفسه أحق بعرش مصر من بعده ، ولكن نظام توارث العرش قد تغير بفرمان مايو ١٨٦٦ الذي نقل العرش لأكبر أولاد اسماعيل وليس أكبر أفراد الأسرة مثلما حدث فى فرمان ١٨٤١ م . لذلك ظل مناوئا له حتى اضطره الخديو فى نهاية الأمر إلى التنازل عن جميع ما له بالقطر المصرى من الأملاك وغيرها .

للتفاصيل يمكن الرجوع إلى دار الوثائق : محافظ أبحاث ، محفظة ١٣٥ تحت عنوان « تراجم محمد على والعائلة » .

وإلى جانب ذلك كان من دعاة الحرية والدستور والثائرين فى وجه الاستبداد فى عاصمة الدولة العثمانية فطالب بالدستور فى عهد السلطان عبد المجيد لدرجة أن أطلق عليه البعض « أبو الأحرار » . ونتيجة ليأسه من العمل السياسى وفشل مؤامراته ضد الخديو اسماعيل انصرف إلى العلم والأدب فحوّل قصره إلى مدرسة كما كانت مكتبته الخاصة من أكبر المكتبات فى مصر مما جعل له منزلة خاصة فى قلوب المثقفين المصريين حتى مات فى عام ١٢٩١ هـ . وتميزت الأميرة نازلى منذ نشأتها بالذكاء والدهاء والجمال الفتان ، وقد اتصلت بعالم السياسة والدبلوماسية نتيجة لتزوجها من سفير الدولة العثمانية فى لندن ، وبعد وفاة زوجها عادت إلى عاصمة الخلافة حيث ضاق بها السلطان عبد الحميد ذرعا لعلاقتها بجماعة تركيا الفتاة فاضطرت للاقامة فى مصر فترة حيث ضاق الخديو عباس الثانى بها ذرعا أيضا ثم رحلت إلى تونس وتزوجت من السيد خليل بو حاجب نجل قاضى المملكة الشرعية بتونس ، ولما لم يطب لها المقام هناك استقرت فى قصرها بالقاهرة إلى أن ماتت فى نهاية عام ١٩١٣ .

أنظر : أوراق محمد فريد ، المجلد الأول ، مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ - ١٩١٩ القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٨ ، ص ١٣٣ . ومصطفى عبد الرازق : أثر المرأة فى حياة الشيخ محمد عبده ، مجلة الشباب ، العدد الأول فى ١٧ يناير ١٩٣٦ .

اسماعيل صبرى ، والمجالس التى كانت تعقد فى منازل على باشا مبارك ، ولطيف باشا سليم ، وسعد زغلول وغيرهم وما أعقب ذلك من ظهور صالونات مشهورة مثل صالون « مى » الذى ظل موضوعا محببا ومثيرا لدى العديد من المثقفين والقراء ، وصالون العقاد الذى احتشدت فيه العديد من العقول التى حددت ملامح هذا الجيل ، ودارت فيه موضوعات شتى من التاريخ والأدب والفلسفة والفن والسياسة والفكاهة .

إلا أن صالون الأميرة نازلى كان يعدُ من أبرز الصالونات فى مصر وأشدها تأثيرا فى الحركتين الأدبية والسياسية [١] خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين حيث ضم بين جنباته صفوة القوم فى مصر أمثال « شريف باشا » ، و« رياض باشا » ، و « سلطان باشا » ، و « لطيف باشا سليم » ، و « عمر باشا لطفى ، و « شاهين باشا » وغيرهم ممن تألفت منهم هذه الجماعة التى عرفت باسم جمعية حلوان السرية ثم الحزب الوطنى بعد ذلك [٢] .

كما لعب هذا الصالون دوراً هاما فى تغيير فكر واتجاهات جماعة الشيخ محمد عبده الذى قاد حركة التفاهم بين السلفية والتحديث .

كما ضم هذا الصالون بين جنباته قاسم أمين وسعد زغلول وابراهيم الهلباوى ، وأحمد فتحى زغلول وابراهيم المويلحى وأديب اسحق وعلى يوسف وحسين رشدى وغيرهم من قادة الرأى والفكر والسياسة الذين لعبوا أدوارا هامة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر .

---

(١) عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ، جـ ٣ ، ابراهيم المويلحى صاحب مصباح الشرق ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ص ٢٥ – ٢٦ .

(٢) عبد المنعم الجميعى : عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠ – ٨١ .

هذا إلى جانب أنه كان يضم بين جنباته كبار المسئولين الانجليز أمثال ايفلين بارنج (لورد كرومر) المعتمد البريطانى فى مصر وهارى بويل السكرتير الشرقى وكبار رجالات الاحتلال فى مصر أمثال المستشرق رونالد ستورز وغيره .

وعلى الرغم من كل ذلك فإن هذا الصالون وصاحبته كانا من مظاليم التاريخ فلم يحظيا باهتمام من أحد ولم يبرز أهمية مكانتهما أحد ربما لأن هذه الأميرة كانت تنسب إلى الأسرة المالكة المعزولة كما أنها كتبت بعض المقالات فى الصحف الأجنبية ضد المصريين [١] وكانت على علاقة بالانجليز المحتلين لمصر ،

لقد تربت الأميرة نازلى على النمط الأوربى ، وتثقفت بالثقافة الغربية ، وكانت تتكلم الفرنسية كاحدى بنات السين ذوات الثقافة العالية والأدب الرفيع هذا إلى جانب أنها كانت تُحسن اللغات الانجليزية والتركية والعربية . وكانت كما يذكر محمد فريد تقابل الرجال على العادات الأوربية ، وتحيى ليالى موسيقية فى دارها و« تكثر من شرب الخمر خاصة الشمبانيا على الطعام بل وقبل كل طعام » [٢] يضاف إلى ذلك أنها كانت تتداخل فى القضايا المنظورة أمام المحاكم مقابل سمسرة تأخذها باسمها أو باسم القضاة [٣] .

---

(١) للأميرة حديث نشره جرفيل Guerville الأمريكى فى كتابه الذى نشر فى لندن عام ١٩٠٥تحت عنوان New egypt وصفت فيه الشباب المصرى بالخمول والكسل كما أن لها حديثا نشر فى الايجبسيان جازيت عام ١٩٠٩ ذكرت فيه أن الشباب المصرى لا يساوى ثمن الحبل الذى يشنق به نفسه مما أهاج بعض الجرائد المصرية ضدها .

انظر : المقطم فى ٢٦ فبراير ١٩٠٩ .

(٢) انظر أوراق محمد فريد المجلد الأول ، مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ - ١٩١٩ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٨ ، ص ١٣٣ .

(٣) يذكر محمد فريد أنها تداخلت فى قضية السيدة ليلى هانم مقابل مبلغ كبير أخذت به كمبيالات عليها ، وأنها أرادت توكيله فى هذه القضية ولكنه رفض لأن سببها غير شرعى . للتفاصيل انظر أوراق محمد فريد ص ١٣٤ .

وقد كان قصر الأميرة نازلى مجتمعا للعظماء وقادة الرأى وصفوة أهل العلم والأدب من أجانب ومصريين فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ولم يقتصر صالونها على تدارس الشعر والأدب بل كانت تتدارس فى أروقة هذا الصالون موضوعات أخرى وتحل فيها عظائم الأمور وتعقد .

ففى صالونها كانت تناقش مسائل الاصلاح الاجتماعى وأحوال المرأة المصرية ، وتتدارس طرائف العلوم والآداب والفنون الجميلة وخلاصة الفكر الراقى .

وفى صالونها كانت تشجع أصحاب المواهب والكفاءات المتميزة التى حملت راية التنوير الفكرى فى مصر ، كما كانت أحيانا تناقش الكتب الأدبية التى تهاجم مصر [١] وتخاطب الصحفيين وترسل آراءها إلى الجرائد .

وفى صالونها دافعت عن أحمد عرابى وثورته ، ولم تمل الكلام عن نزاهة أغراضه ومما قالته عنه انه لم يكن جنديا فحسب لأن قلبه كان أطيب من أن يساعده على ذلك ولو كان رجلا عنيفا لأخذ توفيقا مع جميع الأمراء إلى القلعة وقطع رءوسهم وصار أميرا على البلاد [٢] .

وفى صالونها تولدت المشاعر القومية بعد فترة من الكبت السياسى والفكرى والأدبى حيث قربت منها العديد من رجالات مصر السياسيين وغيرهم كما سبق القول .

وقد يرجع السبب فى ذلك أنها كانت تنتمى إلى فرع من الأسرة الحاكمة كان يدعى أحقيته بولاية العرش ، لذلك فإنها كثيرا ما ناوأت

---

(١) من أمثلة ذلك كتاب « سر تأخر المصريين » لداركور الفرنسى .
(٢) بلنت : التاريخ السرى للاحتلال البريطانى لمصر ص ٥١٦ .

الخديو اسماعيل ووقفت بجانب مناوئيه أمثال جمال الدين الأفغانى أثناء وجوده بمصر وخلال وجوده بالاستانة ، كما كانت تتجسس للسلطان العثمانى على الخديو عباس الثانى . وعليه كذلك للانجليز [١] .

يضاف إلى ذلك أنها كانت على علاقة بأعضاء جماعة تركيا الفتاة مما أدى إلى سخط السلطنة عليها [٢] .

وقد توثقت علاقة الأميرة نازلى بالأفغانى لدرجة أنه قال عنها أنها « تمثال الكمال والجمال حضرة البرنسيس التى لها من قلبى المنزل الأبهى ، والمقام الأسنى » [٣] .

كما حاول أن يطلب لها من السلطان « وسام الشفقة المرصع » [٤] ولكنه لم يفلح فى ذلك .

كما توثقت علاقة الأميرة بالشيخ محمد عبده بعد عودته من منفاه ببلاد الشام إلى القاهرة فى عام ١٨٨٨ خاصة بعد أن علم بمساعيها لدى الخديو توفيق واللورد كرومر ورياض باشا رئيس النظار وقتئذ فى اصدار العفو عنه فتردد على صالونها وتوثقت علاقته بها [٥] مما كان له أثره العميق فى حياة الشيخ نفسه ويشهد على ذلك خطاب لها بالفرنسية أرسلته إلى الشيخ ليس عن طريق البريد ولكن عن طريق رسول تقول فيه [٦] :

---

(١) أوراق محمد فريد ، ص ١٣٤ ، ومذكرات سعد زغلول جـ ١ ، ص ٦٤ .

(٢) الرائد المصرى : العدد ٢٨ فى ١٨ ديسمبر ١٨٩٦ ، ص ٢٩٣ ، تحت عنوان « البرنسيس نازلى هانم » .

(٣) محمد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، جـ ١ ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ ، ص ٨٩٧ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه ، جـ ١ ، ص ٤١٨ ، ٨٩٤ .

(٦) نشر هذا الخطاب الاستاذ عثمان أمين خلال تعليقه على مقال الشيخ مصطفى عبد الرازق « أثر المرأة فى حياة الشيخ محمد عبده » ، موضحا أن الخطاب كتب على غلافه بالعربية «عزتلو شيخ محمد عبده حضرتلرى» الرسالة ، العدد ١٩٠ فى ٢٢ فبراير١٩٣٧ .

Cher Ami

Je vous prie de venir me voir ce soir aprés 7 h.

Je regrette d'avoir manqué votre visite hier.

Votre amie sincére

Nazli

وترجمته :

صديقى العزيز

أرجوك أن تحضر لرؤيتى هذا المساء بعد الساعة السابعة . .

أنا أسفة إذ فاتتنى رؤيتك أمس ..

صديقتك المخلصة

نازلى

ومعنى ذلك أن أمر الصداقة بين الشيخ والأميرة أصبح واضحا ، وأن الأميرة خصت الشيخ بمكانةٍ مميزةٍ وأنها كانت تُجِلّهُ .

ومع أن الشيخ محمد عبده لم يكن راضيا عن اشتغال الأميرة بالسياسة ، وأنه كان يفضل لها أن توجه عنايتها بتأسيس أعمال تفيد فى تهذيب البنات وتعليمهن فإنه لم يستطع اقناعها بذلك ، ومع أنه كان لا يجاريها فى آرائها السياسية ويفضل الصمت على مجاراتها فى أحاديثها فإنها كانت تغضب منه وتطالبه بالاشتراك فى الحديث ، وعندما يتحدث تتعارض آراؤه مع آرائها لدرجة أنه قال لها يوما « إن سكت لا أرضيك وإن تكلمت لا أرضيك فكيف العمل ؟ » [١] .

---

(١) محمد رشيد رضا: المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٨٩٥ .

وعلى أى حال فقد استطاعت الأميرة أن تؤثر فى أفكار الشيخ محمد عبده فى وجوه ثلاثة أوضحها الشيخ مصطفى عبد الرازق وهى :

١ - على الرغم من عداوة الشيخ محمد عبده للانجليز وكتاباته الملتهبة ضدهم [١] خاصة فى جريدة العروة الوثقى التى أصدرها بالاشتراك مع استاذه الأفغانى فى باريس فقد استطاعت الأميرة عن طريق علاقتها الوطيدة به أن تخفف من عداوته لانجلترا وأن تقربه من صديقها « كرومر » لدرجة أن تلاشت من صدره عداوة انجلترا ، وأصبح يجهر فى كتاباته بدورها فى تنظيم أمور مصر ، كما أعلن عن مهادنته للانجليز [2] موضحا أن اصلاح الأمة لا يتحقق إلا عن طريق التربية والتعليم والاستنارة ، وتكوين أفرادها علميا وفكريا ، وأنه لا يمانع فى الاستعانة بالانجليز على نوال بعض الاصلاح ولو أدى ذلك إلى معاداة الخديو [3] .

يضاف إلى ذلك أنه قاد عملية التفاهم بين السلفية والتحديث وأباح للعقل المصرى أن يفكر غير متحرج ولا متحفظ فى أمور الدين والسياسة والاجتماع ، وعرض كل شىء للنقد ، واستخلاص وجه الحق فيه رغم أى قيود أو ظروف [4] .

٢ - المامه فى كتاباته بموضوعات لم يتعرض لها قبل تعرفه على الأميرة ففى مقاله « الصور والتماثيل وفوائدها وحكمها » قام بتقريظ فوائد حفظ هذه الآثار وأجاز للرسامين عملها بقوله « إن الرسم ضرب

---

(١) Blunt : secret History of the English occupation in Egypt p. 489 .

(٢) Safran, N : Egypt in Search of political community, Oxford university press, 1961, p. 62 .

(٣) أوراق محمد فريد ، ص ١١٩ .

(٤) الدستور ، العدد ١٣٣١ فى ١٩٤٩/٩/٢٣ تحت عنوان الدكتور طه حسين ، يلخص لأهل الباكستان حياتنا العقلية فى مصر .

من الشعر الذى يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى » [١] وقوله « وأما إذا نظرت إلى الرسم وهو ذلك الشعر الساكت فإنك تجد الحقيقة بارزة لك تتمتع بها نفسك ، كما يتلذذ بالنظر فيها حسك » [٢] وقوله « فحفظ هذه الآثار حفظ للعلم فى الحقيقة وشكر لصاحب الصنعة على الابداع فيها » [٣] .

وهذا الكلام ما كان يخرج من شيخ أزهرى مثل الشيخ محمد عبده لولا تأثير الأميرة عليه .

٣ – أن أسلوبه الكتابى فى أواخر أيامه كان يميل إلى الدعابة والخفة كما فى الفصول التى كتبها عن سياحاته [٤] .

ومع أننا نضيف إلى ما ذكره الشيخ مصطفى عبد الرازق أن عناية الشيخ باتقان الفرنسية ربما كان نفحة من نفحات الأميرة فإننا نرى أن المبالغة فى تأثير الأميرة على الشيخ محمد عبده إلى هذا الحد قد يبعدنا عن الموضوعية بعض الشىء .

حقيقة أن الشيخ ساند العرابيين خلال ثورتهم ووقف للانجليز بالمرصاد وهاجمهم على صفحات العروة الوثقى وغيرها هجوما عنيفا وأنه بعد أن قابل الأميرة تغير موقفه تجاههم ولكن لماذا لا نرجع ذلك إلى اقترابه من سن الشيخوخة وأن التجارب حنكته وصقلت أفكاره . حقيقة أن بعض عظماء الرجال برزت عبقريتهم فى منبت العطف والتأثير النسائى ، وأن الشيخ محمد عبده تأثر ببعض أفكار هذه الأميرة ، ولكن ليس إلى الحد الذى ينسبه أفكاره كوطنى حاول بث فكرة الوطنية المعتدلة فى نفوس مواطنيه ، وطالب الحاكم باصدار دستور عادل لحكم بلاده .

---

(١) رشيد رضا : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٩٨ – ٤٩٩ .
(٢) نفسه ، ص ٤٩٩ .
(٣) نفسه .
(٤) مصطفى عبد الرازق : أثر المرأة فى حياة الشيخ محمد عبده .

وعلى أى حال فإن تأثير الأميرة على رجالات مصر لم يتوقف عند الشيخ محمد عبده . بل تعداه إلى آخرين فقد لعبت دورا مهما فى حياة سعد زغلول وقاسم أمين كما كانت لها علاقات مع محمد فريد وغيره .

وعن سعد زغلول فقد توثقت علاقته بالأميرة عن طريق أستاذه الشيخ محمد عبده فاتخذت منه وكيلا لها وأتاحت له فرصة الاختلاط بأوساط الطبقة الارستقراطية وبالعديد من الشخصيات الهامة ، وشجعته على تخطى الحاجز الاجتماعى ، ونصحته بدراسة الحقوق وضرورة تعلم الفرنسية وقربته إليها لدرجة أن ترددت الشائعات بقرب زواجه منها [١] . ومن خلال صالونها التقى سعد بأيفلين بارنج (لورد كرومر) وبفضل مساعيها لدى كرومر عين سعد مستشارا فى الاستئناف [٢] ، كما كانت جواز المرور فى اقترانه من صفية فهمى كريمة مصطفى باشا فهمى رئيس مجلس النظار وأكثر المسئولين المصريين تأييدا للانجليز وذلك فى السادس من فبراير ١٨٩٦ [٣] ثم رشحته بقوة وتصميم ليكون أول وزير مصرى للمعارف مع أنه من أسرة فلاحية مصرية .

صحيح أن تزكية نازلى وحدها لم تكن لتكفى فى التأثير على المعتمد البريطانى كرومر لولا كفاءة سعد ، ولكن من أين عرف كرومر سعداً ؟ إنه تعرف عليه فى صالونها [٤] .

وبالنسبة لقاسم أمين فقد استطاعت الأميرة نازلى تغيير مفهومه

---

(١) عباس حافظ : بطل النهضة المصرية الكبرى ، سعد زغلول باشا ، القاهرة ، د. ت ، ص ٦٣ .

(٢) أوراق محمد فريد : المجلد الأول ، ص ١١٩ .

(٣) يرفض عباس العقاد هذه الفكرة ، ويذكر أن الأميرة لم تكن ترتاح إلى هذا الزواج ولم تساعد على اتمامه .
انظر : سعد زغلول سيرة وتحية ، القاهرة ، مطبعة حجازى ، ١٩٣٦ ، ص ٥٢٨ .

(٤) مذكرات سعد زغلول ، جـ ١ ، ص ٦٤ .

عن المرأة ، فبعد أن عاد من فرنسا إلى مصر كتب كتابا بالفرنسية عنوانه Les Egyptian (المصريون) للرد على مطاعن الدوق الفرنسى داركور Duc de Darcourt القاضى بالمحاكم المختلطة [١] وفيه دافع عن الحجاب ، وندد بالداعيات إلى السفور واشتراك المرأة فى الأعمال العامة ، وهاجم المرأة المصرية وقلل من قدرها ووصفها بالضعف والانغلاق ، وطالبها بالقبوع فى المنزل والاقتصار على شئون الدار ، وعدم الخوض فى الحياة العامة خاصة وأن مصر لا تزال تعيش فى حالة من التخلف . يضاف إلى ذلك أنه أخذ فى كتابه سلسلة من المقالات فى جريدة « المؤيد » كانت تحت عنوان « أسباب ونتائج واخلاق ومواعظ » [٢] .

ولما كانت الأميرة نازلى تمثل النهضة النسائية المصرية فى ذلك الوقت فقد رأى محمد عبده وسعد زغلول وآخرون أن ما كتبه قاسم أمين يعد تعريضا جارحا بالأميرة ، ونتيجة لذلك كلفوا « فارس نمر » صاحب المقتطف بالرد عليه فبدأ كتابه سلسلة من المقالات لنقد هذه الكتابات لم تنل رضاهم ، ولما طالبوه بالتوقف عن الكتابة طلب منهم الحصول على الاذن بذلك من الأميرة .

وقد توسط سعد زغلول لدى الأميرة فى هذا الشأن ثم أحضر قاسم أمين للاعتذار لها فقبلت اعتذاره وبعد ذلك أخذ يتردد على

---

(١) وضع كتابا عن مصر ونشر فى باريس عام ١٨٩٣ تحت عنوان L'Egypte et Les Egyptiens نتقد فيه المجتمع المصرى انتقادا لاذعا ، وصور فيه حياة مصر والمصريين بألوان قاسية مس فيها عاداتهم ودينهم .

(٢) نشرت فى الفترة بين عامى ١٨٩٤ ـ ١٨٩٨ وتضمنت تسعة عشر مقالا دارت حول ثلاثة عناصر فالمقالات السبع الأولى كانت حول المال ، والمقالات السبع الثانية كانت حول أسس التربية السليمة . أما المقالات الخمس الأخيرة والتى أسماها أخلاق ومواعظ فقد دارت حول موظفى الدولة . وقد طغت فكرة التربية على كل هذه المقالات .

صالونها فرأها سافرة تناقش محمد عبده وعلى يوسف والمويلحى وغيرهم مناقشة عميقة فى أمور مصر الداخلية وفى الشئون العالمية [١] كما وجد فيها إمرأة تدافع عن نساء مصر ، وتجادل الكتاب الأوربيين جهاراً دون حرجٍ مما جعلها تزداد فى عينيه اقتناعا وارتفع مقامها لديه مما جعله يغير رأيه ويتحول من النقيض إلى النقيض ، ويتمنى لو كانت كل امرأة فى بلده مثلها [٢] . وبدأ يكتب فى المؤيد مدافعا عن حقوق المرأة وضرورة تحريرها من الجهل والتخلف وأن تخرج من قوقعتها كما طالب بسفورها وخروجها إلى العمل إذا اضطرتها الظروف [٣] بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب [٤] . وقد جمعت هذه المقالات بتأييد ومباركة نازلى فاضل . والشيخ محمد عبده فى الكتاب المسمى « تحرير المرأة » الذى صدر فى عام ١٨٩٩ وتسبب فى هز المجتمع المصرى من الأعماق ، وإثارة العديد من المعارك الفكرية الضارية .

وقد أكد دور نازلى فاضل فى اصدار هذا الكتاب ما ذكره داود بركات فى مقال له بالأهرام أن قاسم أمين هدف من تأليف كتاب تحرير المرأة إلى إرضاء نازلى فاضل وتصحيح خطئه فى حقها [٥] كما أكد دور محمد عبده ما رددته « الجريدة » بأن محمد عبده كان صاحب هذه الفكرة [٦] . وما ذكره صاحب الأعمال الكاملة لقاسم أمين حول ما تردد من أن الشيخ محمد عبده شارك فى تأليف هذا الكتاب ثم وضع على

---

(١) السياسة الأسبوعية فى ١٩٢٨/٥/٥ مقال للاستاذ عبد العزيز البشرى .
(٢) د. ماهر فهمى حسن : قاسم أمين ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١١٧ .
(٣) نشرت أول هذه المقالات فى ١٥ مايو ١٨٩٩ ، والثانية فى ٢٠ مايو ، والثالثة فى ٢٨ مايو .
(٤) مجلة الحديث ، يناير ١٩٣٩ ، ص ٨٨ ، ٩٢ .
(٥) الأهرام فى ٤ مايو ١٩٢٨ .
(٦) الجريدة فى ٢٦ ابريل ١٩٠٨ .

غلافه اسم قاسم أمين تجنبا للحرج والعاصفة الضارية التى يمكن أن تهب عليه خاصة وأنه الشيخ الأزهرى الكبير الذى كان يحمل منصب مفتى الديار المصرية [١] . وقد استند من ردَّدَ هذه المقولة على أن الأمور الدينية التى عالجها الشيخ محمد عبده فيما يختص بحقوق المرأة قد تناولها قاسم أمين بالبحث فى الناحية الاجتماعية ، كما أكدوا أن آراء قاسم أمين لقيت تأييداً تاماً عند الشيخ محمد عبده واستندوا فى ذلك إلى الاجتماع الذى حدث فى جنيف فى عام ١٨٩٧ بين الشيخ محمد عبده وسعد زغلول ولطفى السيد وقاسم أمين وأخذ الأخير يتلو على الامام بعض فصول من كتابه عن تحرير المرأة فكان يوافق على ما فيها ويضيف إليها بعض الفقرات [٢] . وإلى جانب ذلك استندوا إلى ما ذكره أحمد شفيق فى كتابه « أعمالى بعد مذكراتى » إلى رغبة قاسم أمين فى ألا يصدر الكتاب باسمه فقط بل بالاشتراك مع آخرين وأن قاسم أمين عرض عليه أن يشاطره العمل فى تأليف الكتاب ولكنه امتنع عن تلبية طلبه لسببين أولهما عمله الحكومى الذى لا يسمح له بالتفرغ لمسألة يعلم أن تأليف كتاب فيها لا ينتج الثمرة المرجوة . وثانيا : يقينه بأن الأفكار لم تتهيأ بعد لقبول مثل هذه الدعوة [٣] .

وعلى أى حال فعلى الرغم من استبعادنا فكرة اشتراك الشيخ محمد عبده فى تأليف هذا الكتاب خاصة وأن اسلوبه الانشائى أقرب إلى أسلوب قاسم أمين منه إلى أسلوب محمد عبده فإننا لا نستبعد أن يكون الشيخ قد أضاف إليه بعض الفقرات والاقتباسات المأخوذة من أمهات

---

(١) قاسم أمين : الأعمال الكاملة ـ تحقيق محمد عمارة ـ بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص ١٣٣ .

(٢) درية شفيق وابراهيم عبده : تطور النهضة النسائية فى مصر من محمد على إلى الفاروق ، القاهرة ، مكتبة الآداب ١٩٤٥ ، ص ٧٤ – ٧٥ .

(٣) انظر أعمالى بعد مذكراتى ، القاهرة ، ١٩٤١ ، ص ٣٥٢ .

الكتب فى الفقه الاسلامى خاصة وان ثقافة قاسم أمين الدينية لم تكن قد بلغت الاحاطة بمثل هذه الأمور الفقهية .

وهكذا يتضح أن فكر قاسم أمين كان قد تطور وتغير على يد هذه الأميرة ومن خلال صالونها ، ولا نكون مبالغين إذا قلنا أن كتاب تحرير المرأة كان انتصارا لأفكارها ، وارضاء لتطلعاتها ، وترديدا لما كان يدور فى حجرات صالونها .

وبالنسبة لعلاقة الأميرة نازلى بمحمد فريد فلم تكن طيبة فى أول الأمر حيث هاجمها على صفحات الجرائد لتمجيدها للانجليز ثم لآرائها المعادية للمصريين حيث تم الصلح بينهما وقابلها فى تونس حيث دعته فى دارها بحمام الأنف وبالمرسى وأكرمته وقد قال عنها فريد « كنا على طرفى نقيض فى السياسة ولكنها كانت تحترم آرائى » ولكن هذه الصداقة لم تدم بينهما طويلا خاصة وإنها كانت تكره مصطفى كامل وتتهمه بالمتاجرة فى الوطنية ، ونظرا لاختلافهما حول هذه النقطة توقفت عن الهجوم على مصطفى كامل فترة ولكنها بعد أن علمت بمرضه دعت عليه بالموت أمام فريد فغضب منها وقاطعها ولم يقابلها بعدها قط على الرغم من صلته المتينة بها [١] ومشاركتها له فى أفراح أسرته [٢] .

لقد تعرض الكثيرون للأميرة نازلى بالتشكيك بحجة أنها كانت انجليزية الهوى والتفكير ، وأن كبار الانجليز فى مصر كانوا من رواد صالونها ومن أصدقائها الخصوصيين [٣] ولأن كلمتها كانت ذات تأثير لدى قصر الدوبارة ، ومع كل ذلك وعلى الرغم من نقدها للمصريين

---

(١) أوراق محمد فريد : الجزء الأول ، ص ١٣٤ .

(٢) حضرت على سبيل المثال زواج ابنته فريدة ، وابن أخته أحمد كمال .

(٣) عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية حتى سنة ١٩١٤ ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧١ ، ص ٣٥ .

فهل يمكن أن نتجاهل أن الشيخ محمد عبده كان يحترم عقليتها ويرى فى صالونها خيرا وأنها خدمت الوطنية المصرية بقصد أو بغير قصد من خلال معاضدتها لسعد زغلول [١] وأنها كانت من أوائل من شاركن فى حركة التنوير الفكرى وايقاظ الحياة المصرية العامة مع بعض نساء الأسر الراقية وأنها بخيرها وشرها اشتركت فى صنع بعض زعماء مصر أمثال سعد زغلول وقاسم أمين . ففى صالونها تم صقل الزعامات المصرية وتطوير بعض مفاهيمها فلم تظهر نزعة الشيخ محمد عبده إلى تحسين حال المرأة وتلافى ما فى حياتها البيتية من النقائص إلا بعد مقابلته للأميرة وتأثره بأفكارها ، ولم تظهر زعامة سعد وتتألق بعد تأخرها على المقاعد الخشنة فى قهوة متاتيا إلا بين الباشوات فى صالون الأميرة ، وبعد مصاهرته للطبقة الارستقراطية .. ولم تتغير نظرة قاسم أمين عن الحجاب ولم يدع إلى تحرير المرأة إلا بعد مقابلته للأميرة التى تميزت جلسات صالونها بجذب الزعامات المصرية المعتدلة فى ثقافتها ووطنيتها .

وهكذا استطاعت هذه الأميرة التى كانت تفوق أكثر أهل عصرها من أبناء الشرق فى الاشتغال بالسياسة والاهتمام بمسائل بنات جنسها أن تسوس مواهب رجالات مصر وأن تؤدى دورها الطليعى فى الحياة الفكرية المصرية وأن تهيأ المناخ الفكرى لحركة التغيير التى كانت تترقبها مصر حتى وافاها الأجل فى الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٩١٣ [٢] .

* * * * *

---

(١) الهلال : عدد سبتمبر ١٩٨٢ ، مقال للدكتور السيد فهمى الشناوى ، تحت عنوان صالون نازلى هانم ، ص ٤٦ .

(٢) المقتطف ، جـ ٤ ، يناير ١٩١٤ ، ص ٩٩ .